تهذيب الإنسان

من خصال الشيطان

تأليف

الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان المعروف بابن فودي

تغمده الله برحمته آمين

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أما بعد:

فهذا كتاب (تهذيب الإنسان من خصال الشيطان)، وينحصر في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: في أحوال القلب

اعلم أن شرف الإنسان على سائر الحيوان، إنما هو باستعداده لمعرفة الله وطاعته، والمعرفة لا تكون إلا في القلب، فهو العالم بالله المتقرب إلى الله المكاشف بما عند الله إن سلم من غير الله وهو محجوب عن الله، إن استغرق بغير الله والجوارح له أتباع وخدم وآلات وهو المطيع لله، فينتشر على العبادات أنواره وهو العاصي فيسري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره وهو ملك، والبدن مدينته والجوارح صناع وعمال، والعقل وزيره والشهوة عبد سوء له يجلب الطعام إلى المدينة، والغضب صاحب شريطه والشيطان عدوه وعادة العبد الخبيث منازعة الوزير، وموافقة العدو الذي يريد خلعَ الملك وإهلاكَه، فإذا أعان الملكُ وزيرَه على العبد السوء وجعل صاحبَ الشرطة بيد الوزير، ويسلّطه على العبد ويدفع مكائدَ العدو استقام أمرُ بلده وانتظم، وإلا عاد الملكُ وعمالُه وأعوانه مأسورين للعدو بإعانة العبد فيكون خرابا للبلد. فافهم

ثم اعلم أن مرادَنا بالقلب اللطيفة الربانية الروحانية التي لها بهذا القلب الجسماني تعلقَ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ولا تنكشف حقيقتها إلا في علم المكاشَفة لا في علم المعاملة الذي كنا بصدده، وهي النفس أيضا أي نفس الإنسان إلا أن اصطلاح أهل التصوف خَصّها في الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان الناشئة من الغضب

Scanned with CamScanner

والشهوة فاجتمع عليه السبعيةُ والبهيمية والشيطانية والربانية، فهي سبع بالغضب وبهيمة بالشهوة والشيطان باجتماعهما، ورب في حب الاستعلاء والاستيلاء والتخصيص والاستبداد بالأمور كلها، والتفرد بالرياسة والخروج من رق العبودية، وحب الاطلاع على جميع حقائق الأمور وقهر جميع الخلائق، وكل ذلك من أوصاف الربوبية. والقلب مستعد لمعرفة جميع الحقائق لكن يحجبه عنها المعاصي والشهوات والجهل والتقليد ووساوس الشيطان، فمبدأ الأفعال الخاطر ثم الرغبة ثم فعل ما يضر في الآخرة أو ما ينفع فيها وفقنا الله إلى رضاه.

Scanned with CamScanner

الفصل الأول: في مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان

في مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان وهي صفاته المذمومة، وهي كثيرة لكن نذكر اثني عشر من أمهاتها: -

الأول:الغضب

فمن غضب واتبع غضبه دخل إليه الشيطان ولعب به.

الثاني: الشهوة

فمن اتبعها دخل الشيطان في قلبه وأحسنها له حتى يهلكه.

الثالث: الشبع

فهو من مداخله إذ به يقوي الشهوات التي هي سلاح الشيطان.

الرابع: حب التزين بالثياب والديار والأثاث

فإن رآه الشيطان في القلب داخله وباض فيه وفرخ، ولا يزال يدعوه إلى تزيينها طول عمره إذ بعض الحوائج إليها يجر بعضا فلا تنقضي حتى يموت الإنسان.

الخامس: السمع في الناس

فمن غلب عليه لا يزال الشيطان يحسن إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بالرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كمعبوده، لا يزال في حيلة التودد إليه بالثناء عليه بما ليس فيه ومداهنته بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

Scanned with CamScanner

السادس: العجلة في فعل ما خطر له

من غير تبصر فيدخل الشيطان في قلبه ويحسنه له ويقول له "لاشك في كون هذا صوابا فدع التوقف" حتى يهلكه فيه.

السابع: المال الذي زاد على الضرورة

به يدخل الشيطان في قلبه فيوسوس إليه حوائج لا يتفرغ منها إلى الموت، مثاله من له قدر القوت وهو فارغ القلب مستقل به فإذا وجد مائة دينارا مثلا ألقى الشيطان في قلبه مائة شهوات كل منها محتاج إلى مائة أخرى، فلا يكفيه ما وجد فيتشوش قلبُه بالتفكر فيها حتى يقع في هوى كثيرة آخرها جهنم.

الثامن: البخل

فإذا رآه الشيطان غالبا على القلب زرع خوف الفقر، فيلزمه منع الإنفاق والتصدق ويدعوه إلى الادخار وسوء الظن بربه.

والتاسع: التعصب

فإذا رآه الشيطان تحرّكه في القلب بنصر بعض الخصوم على بعض بغير الحق وزينه له فيجره إلى الحقد والحسد.

العاشرة: سوء الظن بالمسلمين

فيدخل الشيطان في قلبه بذلك فيوقعه في غيبتهم والتقصير في حقهم والتواني في إكرامهم والنظر إليهم بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيرا منهم.

Scanned with CamScanner

الحادي عشر: حب الجاه

فإذا رآه الشيطان في قلبه زرع فيه قبائح لا تحصى ويدليه بغروره إلى الهلاك يظنه محل النجاة، مثاله أن يزرع في قلبه الاشتغال بوعظ الناس، ثم يجره بذلك إلى التصنع في تحسين ألفاظه للناس وإظهار طلب الخير للمسلمين ويقول له إن لم تحسن ألفاظك سقط كلامك من قلوبهم فلا يهتدون به إلى الحق، فيدخل في الرياء وحب قبول الخلق لما يقول والتعزز بكثرة الأتباع إلى غير ذلك.

الثاني عشر:الكبر

وهو من أعظمها وقبائحها لا تخفى، عَصَمَنا الله منها، والحاصل أن كل خَصلة مذمومة مدخل للشيطان إلى قلب الإنسان، فليكن على حذر منها!، والله الموفِّق للصواب فإذا كان باب القرية مفتوحة والعدو حاضر غير غافل لم يندفع إلا بالمراقبة والاجتهاد، والاستعانة بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

Scanned with CamScanner

الفصل الثاني: في أقسام القلوب وهي ثلاثة

الأول: معمور بالتقوى مزكي بالرياضة عن خبائث الأخلاق فهذا يكون مهبطا للملك، **يمده** بجنود الأنوار ويهديه إلى الخيرات فلا يضره مكائد الشيطان لكونه في حصن حصين.

الثاني: مخذول للهوى مفتوح للشيطان إذا خطر فيه خاطر الهوى وقام العقل إلى دفعه وجد القلب قد أُلِف خدمة الهوى وأنس به، فلا يجد العقل سبيلا إلى دفعه فيقبل عليه الشيطان بالتزيين حتى يضعف سلطان الإيمان ويصعد إلى العقل دخان الهوى فيعميه فيسكن فيسارع القلب إلى اتباع الهوى، وفي مثله قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦} [البقرة: ٦]

الثالث: متردد بين خاطر الهوى وخاطر الإيمان، فينبعث النفس إلى نصر الهوى ويقوم العقل إلى نصر الإيمان، فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى فيحمل الملك على الشيطان فينصر العقل والإيمان فيبقى القلب مترددا بين الجندين إلى أن يغلب عليه ما هو أولى به، {فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥} [الأنعام: ١٢٥]، {إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٦٠} [آل عمران: ١٦٠]

Scanned with CamScanner

الفصل الثالث: في رياضة النفس وتهذيبها من أمراضها

واعلم أن الأمراض لا تعالج إلا بأضدادها؛ فالجهل بالعلم والبخل بالسخاء بأن يتكلف بذل المال حتى يتيسر عليه، والكبر بالتواضع؛ بأن يواظب على أفعال المتواضعين حتى يتيسر عليه، والشره بالكف عن المشتهى تكلفا كاحتمال مرارة الدواء لشفاء الأبدان، وكذا سائر الأخلاق ولكن الناس أربعة: -

الأول: جاهل غافل لم يميز الحق من الباطل ، ولم يعتد الشهوات فهذا سريع لقبول العلاج.

الثاني: من عرف القبيح وتقصيره لكنه اعتاد اتباع الشهوات وهذا يقبل العلاج إن انتهض بجد.

الثالث: من عرف القبيح واعتقاده واجبا أو مستحبا لأنه تربى عليه، فعلاج هذا عسير لا يكاد يرجى صلاحه إلا نادر.

الرابع: من نشأ على الرأي الفاسد والعمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويجعله ما يرفع قدره وفي مثل هذا قيل: من العناء رضاية الهرمة العرجاء، ومن التعذيب تهذيب الذيب

ثم اعلم أنه ليس المقصود من الرياضة محو الصفات بالكلية، بل ردها إلى اعتدال بأن تكون الشهوة والغضب تحت ضبط العقل والدين وذلك يحصل بجود إلهي كما حصل للأنبياء وبعض الأولياء وبمجاهدة في ترك الشهوات، وحسن الخلق بالعلم المميز له بين الحق والباطل والعقل الذي ينضبط تحته الغضب والشهوة، حتى يكونا تحت إشارة الدين حبا لله وإيثارا له على كل شيء والاستعانة في علم عيوبه بالجلوس بين يدي شيخ بصير بها فيحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته، أو بطلب صديق صدوق بصير متدين يجعله رقيبا على نفسه، أو باستفادة علمها من أقوال أعدائه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو،ولكن البصير

Scanned with CamScanner

الطالب الخلاص نفسه ينتفع بأقوال أعدائه إذ مساويه لا بد أن تنتشر على ألسنتهم أو بمخالطة الناس فكل ما رآه منهم وكرهه يطلب نفسه بتركه.

ثم اعلم أنه لا بد من طلب الحلال والاقتصار فيه على قدر الضرورة من اللباس والنكاح والمسكن مع لزوم الخلوة والصمت والجوع والسهر، ليستعين بها على التخلي من الأخلاق المذمومة والتحلي بالمحمودة فيسلم من آفات شهوة البطن كطلب المال والجاه المؤديان للرياء والتفاخر والكبر والحسد والعداوة وغير ذلك، وينال فوائد الجوع التي تتبين بها آفات الشبع، والفوائد هي صفاء القلب ورقته بالتلذذ بالذكر وانكساره وتذكر عذاب الآخرة والاستعلاء على النفس ودفع النوم وصحة البدن، وخفة المئونة إذ يكفيه من المال قليل، والتمكن من الإيثار والصدقة بالفضل.

ويسلم من آفات اللسان كالكلام فيما لا يعنيه ، والفضول والخوض في الباطل والمراء والجدال والخصومة، وهي وارد الجدال بطعن كلام الغير تحقيرا له أو استيفاء حقه، والفحش والسب واللعن والغناء بآلة أم لا، وكثرة المزاح والسخرية، والوعد الكاذب والكذب والغيبة والنميمة، والمدح المفرط الذي ينتهي إلى الكذب وغيرها، وسلم من آفات الغضب، والحقد، والحسد، وحب الدنيا وهي كل ما لا نفع له في الآخرة، وآفات البخل وهو حب المال والجاه ،وآفات الرياء؛ وهو طلب الجاه بالعبادات، وآفات الكبر، وآفات العجب، وآفات الغرور، ولينال فوائد التوبة والصبر والشكر، والخوف والرجاء والصدق والإخلاص، والتوكل ومحبة الله، والرضى ومراقبته، في الأنفاس، وذكر الموت، وغير ذلك.وفقنا الله إلى ما يرضاه.

الخاتمة

في رياضة الصبيان

واعلم أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه طاهر عن كل نقش مائل إلى كل ما أميل إليه، فإن عود الخير وعلم الأدب نشأ على ذلك وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثواب ذلك

Scanned with CamScanner

أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر أو أهمل شقي وهلك وكان الوزر على رقبة القيم عليه والولي له، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ} [التحريم: ٦]، فإذا كان الوالد يصونه عن نار الدنيا، فعلى نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء، ولا يعوده التنعم ولا الزينة إن كان ذكرا، ولا أسباب الرفاهية لئلا يضيع عمره في طلبها إذا بلغ.

ويراعي في حضانته امرأة صالحة تأكل الحلال لأن اللبن الحاصل من الحرام يفسد قلب الصبي، ثم أول ما ينبعث له بعد التمييز، شهوة الطعام، فيعلم أخذه باليمين ، ويسم الله عند أكله، ويأكل مما يليه، ويمنع المبادرة إلى الطعام والنظر إلى ما يأكل، ويعود القفار الذي لا إدام فيه لئلا يجعل الإدام حتما، ويقبح عنده كثرة الأكل ويذم عنده من يكثر الأكل، ويمدح عنده من يقلل الأكل، ويحب إليه من الثياب البيض دون الملون إن كان ذكرا ويُعلّم إن ذلك من شأن النساء والمتشبهين بهن، ولا يرخص له في ترك سترة العورة ويقبح عليه ذلك، ويحفظ من الصبيان الذين عوّدوا التنعم ولبس الثياب الفاخرة، ويشغل بتعلم القرءان، ويؤمر بتعظيم مؤدبه والخدمة له والطاعة في كل ما أمر، فبذلك ينال البركة، ويؤمر بالحياء، ويعلم أحاديث ﷺ ، وحكايات الصالحين؛ لينغرس في قلبه حب الصالحين، ومهما ظهر فيه خلق جميل وفعل محمود أكرم عليه، وجوزي عليه بما يفرح به، ويقويه عليه، وإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة، فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا سيما إذا أستره الصبي واجتهد في اختفائه، فإن إظهاره ربما يجري له ثانيا حتى لا يبالي بأن يعلم به لكن إن عاد إليه.فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له: إياك أن يطلع إليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا يكثر عليه العتاب في كل حين؛ فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، بل لا يوبخه الأب إلا أحيانا، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح، وينبغي أن يمنع النوم نهارا؛ فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا مهما أراده لكن يمنع الفراش الوطية حتى تتصلب أعضائه، ولا يسمن ولا يضعف بدنه فلا يصبر بعد ذلك عن التنعم بل يعود الخشونة في الفرش والملبس والمطعم،

Scanned with CamScanner

ويعوده أن لا يكشف إطرافه ويمنع الإفتخار على أقرانه بشيء مما يملكه والده، أو بشيء من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره، والتلطف في الكلام معهم، ويمنع من سؤال الصبيان ما بأيديهم ويعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ، وأن الأخذ لؤم وخسة، والطمع مهانة من دأب الكلب ويمنع البصق في المجلس والتمخض والتثاؤب بمحضر غيره، ولا يستدبر غيره ويمنع كثرة الكلام، ويعلم أن ذلك من فعل أبناء اللئام، ويمنع الفضول صادقا أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك، وأن يستمع مهما تكلم من هو أكبر منه سنا وأن يوسع له المكان ويمنع من الفحش واللعن والسب ومخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك، فإنه يسري إليه لا محالة من القرناء السوء، ويمنع الصراخ إن ضرب في المكتب، وأن لا يستشفع بأحد بل يصبر ويقال له إن ذلك دأب الشجعان والأحرار والصراخ دأب المماليك.

وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب، لكن بحيث لا يتعب في اللعب لأن منع الصبي من اللعب رأسا وإلزامه التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكائه وينغص عيشه حتى يطلب الخلاص منه رأسا، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه، وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي، وأن ينظر بعين التعظيم ومهما بلغ التمييز. فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة، وينبغي أن يعلم ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام، ومن الخيانة والكذب والفحش، ومهما قرب بالبلوغ، فينبغي أن يعلم أن الأطعمة أدوية المقصود منها القوة على طاعة الله وأن الدنيا كلها لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها والعاقل من تزود منها للآخرة حتى تعظم درجته عند الله في الجنان، فإذا كان النشوء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ مؤثرا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر، وإن وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزيين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن الطين اليابس، فأوائل المأمور هي التي تراعي، قال عليه السلام:«كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، عصمنا الله بمنه وفضله وكرمه من كل ما

Scanned with CamScanner

يمنع الوصول، إليه ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قال المؤلف: وهنا انتهى كتابنا: تهذيب الإنسان من خصال الشيطان، بعون الله المنان،يوم الخميس ليلة خلت من شهر الله المحرم أول شهور.

عامِ رشٍّ جَمٌّ

من هجرة النبي ﷺ

Scanned with CamScanner

فهرس

المقدمة: في أحوال القلب ٧٩٣

الفصل الأول: في مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان..... ٧٩٥

الأول:الغضب..... ٧٩٥

الثاني: الشهوة..... ٧٩٥

الثالث: الشبع..... ٧٩٥

الرابع: حب التزين بالثياب والديار والأثاث..... ٧٩٥

الخامس: السمع في الناس..... ٧٩٥

السادس: العجلة في فعل ما خطر له ٧٩٦

السابع: المال الذي زاد على الضرورة..... ٧٩٦

الثامن: البخل ٧٩٦

والتاسع: التعصب..... ٧٩٦

العاشرة: سوء الظن بالمسلمين ٧٩٦

الحادي عشر: حب الجاه ٧٩٧

الثاني عشر:الكبر..... ٧٩٧

Scanned with CamScanner

الفصل الثاني: في أقسام القلوب وهي ثلاثة..... ٧٩٨

الفصل الثالث: في رياضة النفس وتهذيبها من أمراضها..... ٧٩٩

الخاتمة..... ٨٠٠

Scanned with CamScanner